الملك فارُوْق ..

□ البدايةُ التى رَسَمَت طريقَ النِّهـاية

- فاروق جلس على عرش مصر وهو في السادسة عشرة
- رفعوا عمره سبعة أشهر بعد أن حسبوه بالسنين الهجرية
- الملك الصغير طلب أن يبايعوه خليفة للمسلمين، وأميراً للمؤمنين
- راهن على انتصار دول المحور ثم عاد ليرتمي في أحضان بريطانيا
- فاروق واصل احتفاله بولي عهده، والنيران تحرق القاهرة

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء.. المِنَّة لله وحده.. بما أنه في الساعة العاشرة، والنصف من مساء الأربعاء المبارك ٢١ جمادى الأول سنة ١٣٣٨ للهجرة، الموافق ١١ فبراير عام ١٩٢٠م قد منَّ الله علينا بمولود ذكر أسميناه «فاروق»، فقد استصوب لدينا إصدار أمرنا هذا لدولتكم إحاطة لعلم هيئة حكومتنا بهذا النبأ السعيد لإثباته في سجل خاص يحفظ برئاسة مجلس وزارتنا، وتعميم نشره في جميع أرجاء القطر مع تبليغه لمن يرى تبليغه إليه بصفة رسمية، وإجراء ما يقتضي إجراؤه بهذه المناسبة المباركة، وإني أسأل الله القدير أن يجعل هذا الميلاد مقروناً باليُمْن، والإسعاد للبلاد من فضله وكرمه ..»

فؤاد الأب

وسط كومة الصور، والمعلومات الخاصة بالملك «فاروق» التي احتفظ بها في خزانتي، وجدت هذا البيان الصادر من السلطان «أحمد فؤاد» إلى رئيس وزرائه يبشِّره فيه بقدوم ابنه «فاروق».

كتب وملفات كثيرة قرأتها، واطّلعتُ عليها عن هذه المرحلة من تاريخ مصر، إضافة إلى حواراتي مع بعض من عاصروا جانباً منها رغم قِلتهم، إلى جانب العدد الضخم من الصور الذي أضفته إلى رصيد خزانتي، وكان طبيعياً أن يكون لهذه الصور، والحكايات مكانٌ في هذا الكتاب.

كان السلطان «أحمد فؤاد» قد تولّى عرش مصر يوم ٩ أكتوبر عام ١٩١٧م. وبعد أقل من عامين تزوج من «نازلي» ابنة «عبد الرحيم باشا

صبري» وزير الزراعة آنذاك، التي أنجبت أربع بنات شقيقات لـ«فاروق»؛ وبقدوم «فاروق» نجح أبوه في الحصول على موافقة السلطات البريطانية من خلال مندوبها السامي في مصر على نظام الوراثة على عرش مصر، وهكذا أصبح «فاروق» بعد أيام من ولادته الوريث الشرعي للعرش.

ولأن السلطان «فؤاد» كان من أشد المُوالين لبريطانيا فقد وافق على طلب المندوب السامي البريطاني بأن تتم تربية الطفل على يدي مربية إنجليزية، ويتلقى تعليمه في بريطانيا.

الأمير فَارُوْق

كان أول بيـــان أصدره الســـلطان «فؤاد» بعـــد إصدار تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢م، وإعلان الاســـتقلال أن منح نفسه لقب «حضرة صاحـــب الجلالة ملك مصر»، وأصبـــح الطفل «فاروق» يحمل لقب «حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فاروق».. كان طفلاً جميلاً رقيقاً في الســـابعة من عمره عندما قرر والده بالاتفاق مع المندوب السامي البريطاني أن يتلقى تعليمه في مدرســـة «أيتون» في بريطانيا، ولكن والدته الأميرة «نازلي» رفضت ذلك بسبب قلقها الشديد عليه، حيث كان هو عزاءها الوحيد في الحياة التعســـة التي تحياها خلف أسوار القصر، وتم الاتفاق على أن يتولى فريق من المدرسين الإنجليز إعداد برنامـــج تعليمي للأمير مقتبس من برنامج نفس المدرســـة «أيتون»، وعندما بلغ «فاروق» ســـن الرابعة عشـــرة أصبح شاباً وسيماً، وكان لابد من اســـتكمال دراســـته في بريطانيا، وبالفعل تم إلحاقه بكلية

«وولويتش».. ولكن لم تمض فترة طويلة على دراسته بهذه الكلية حيث تُوفي والده الملك «فؤاد» في ٢٨ إبريل ١٩٣٦م، وعاد ولي العهد من بريطانيا لكي يخلف والده.

الملك فَارُوق

تم التصديق على ولاية «فاروق» عرش مصر في البرلمان يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٦ وكان عمره ستة عشر عاماً وبضعة أشهر؛ أي لم يبلغ السن القانونية لتولي العرش وهي الثامنة عشرة، ولذلك تولى سلطاته مجلس وصاية، وعندما أعلن «علي ماهر» باشا الذي كان يتولى رئاسة الوزارة الانتقالية في ذلك الوقت تولى جلالة الملك «فاروق» العرش خلفاً لوالده، وتحت الوصاية، قرأ رسالة من جلالته يعلن فيها تنازله عن ثلث مخصصاته الملكية، وكان يبلغ في ذلك الوقت خمسين ألف جنيه.. تنازل عنها الملك الصغير لتنفق في صالح الشعب. وتلقَّى أعضاء البرلمان هذا العطف الملكي بالتصفيق الحاد، والهتاف بحياة الملك المحب لشعبه.

الكاتب الكبير «محمد عودة» تحدَّث عن هذه المرحلة المهمة من تاريخ مصر وقال: «لقد رحَّبت البلاد، وتفاءلت واستبشرت بأن سنة ١٩٣٦م ستكون فاتحة عصر جديد بعيد عن كل سوءات العهود السابقة.. فقد رحل الملك «فؤاد» آخر السلاطين المستبدين. وتولَّى ملك شاب برئ، وتألَّفت حكومة وفدية برئاسة «مصطفى النحاس» في ظل مناخ من الأمل، خاصة مع بدء المفاوضات مع بريطانيا لتسوية القضية

المصرية تسوية شاملة، والتخلص من القيود التي كانت بريطانيا تكبّل بها مصر، وتشل إرادتها وسيادتها. وتضع الأجانب فوق القانون، وتجعل من كل جالية أجنبية دولة داخل الدولة.

تَفاؤُلٌ.. ولكنْ

وهكذا سادت موجة واسعة من التفاؤل مع تولي الملك الجديد بتصحيح الأوضاع وقيام ملكية دستورية صحيحة. ولكن هذا التفاؤل لم يستمر طويلاً حيث توالت الأحداث التي دارت كلها في فلك إرضاء الإمبراطورية البريطانية التي كان الكل يسعى لإرضائها؛ الملك والحكومات المتوالية من أجل الحفاظ على مكانته. وتحقيق أكبر قدر من المكاسب. والمصالح الشخصية، ولا شيء يهم بعد ذلك.

لقد كانت كل بدايات عهد الملك «فاروق» تمهد الطريق للنهاية الحتمية بضرورة قلب الأمور كلها رأساً على عقب. ولأن الملك الصغير لم يبلغ السن القانونية لتولي العرش في ذلك الوقت فقد تم تشكيل مجلس وصاية لتولي سلطات الملك، وقد تم الاتفاق على أن يتشكل هذا المجلس من كل من الأمير «محمد علي» ولي العهد، و«عزيز عزت» باشا سفير مصر السابق في لندن، وأحد أصهار الأسرة المالكة، و«شريف باشا صبري» خال الملك.

ولكن.. ماذا يفعل الملك الصغير في هذه الفترة. وحتى يبلغ سن الرشد. ويتولى مسئولية الملك. هذا السؤال استغرق جانبا كبيرا من اهتمام الحكومة، ومجلس الوصاية حتى اقترح «مصطفى النحاس» رئيس

حزب الوفد، ورئيس الحكومة أن يعود إلى استكمال دراسته في بريطانيا ليؤهل نفسه لتحمل المسئولية. ولكن أمه الملكة «نازلي» اعترضت على هذا الاقتراح، ووافقها «مصطفى النحاس». وبعد مناقشات تم الاتفاق على اقتراح النحاس بأن يستكمل الملك دراسته في مصر على يد أستاذ بريطاني شاب يرافقه، ويصادقه ويعلمه فنون وعلوم وقضايا العصر، كما تم الاتفاق على أن يقوم الملك الصغير برحلة داخلية يطوف بها محافظات مصر ليتقرب إلى شعبه، وكذلك برحلة خارجية يطوف فيها عدداً من بلدان أوروبا.

وقد حرص «مصطفى النحاس» على أن يحيط الملك الشاب بالرعاية الكاملة، ويوثق علاقته به ويفرض سيطرته عليه، إلا أن هذا التقارب كان ضد رغبة أصحاب المصالح، ولهذا اتفقوا على تقويضه، والحد من تداعياته، وكانت المفاجأة الغريبة حيث تم تأليف مجموعة من الفقهاء، والشيوخ لتقديم الفتوى الدستورية والدينية بأن عمر الملك المسلم يجب أن يُحسب بالسنين الهجرية. وبهذا الحساب فإن الملك بلغ سن الرشد في يوليو سنة ١٩٣٧م بعد أن رفعوا عمره سبعة أشهر..

أميرُ المُؤْمِنينْ

أما الواقعة الأكثر غرابة عندما فوجئت الحكومة بأن الملك الذي لم يتعد السادسة عشرة لا يريد تتويجه دستورياً تحت قبة البرلمان. ولكن يريد بيعة دينية كخليفة للمسلمين، وأميراً للمؤمنين، وفي اليوم التالي

يَؤُمُّ جلالته صلاة الجمعة في الجامع الأزهر في احتفال كبير، وبعده يُقام احتفال عالمي يدعى له ملوك ورؤساء أوروبا لتتويجه مدنياً، واستكمالاً لهذا الموقف الغريب خرج شيخ الأزهر «مصطفى المراغي» بفتوى تقول بأن الله يرسل كل مائة عام على رأس الأمة الإسلامية مُصلحاً يجدد حياتهـا، ودينها، ويوحِّد صفوفها، وأن «فـاروق» اختاره الله وبعثه بهذه الرسالة للمائة عام القادمة!..

كمـا أعلن نقيب الأشـراف في القاهـرة أن جلالة الملك ينتهي في نسبه إلى آل البيت، وأن جده الأكبر هو «الحسين بن علي»، والسيدة «فاطمة» بنت الرسـول، وأنه ورث هذا النسـب النبوي عن جده من أمه «محمد شريف» باشا! كان يقف وراء هذه الحملة الغريبة لمبايعة الملك الصغير خليفة المسلمين مجموعة من أصحاب المصالح في مقدمتهم «أحمد حسنين» باشا، و«علي ماهر» باشا..

ولكن الملكة «نازلي» أم الملك الشاب حذَّرته من الطريق الذي يريدون أن يدفعوه إليه من خلال هذه الدعاوى التي حِيْكَت قبل ذلك لوالده، وطلبت منه أن يضع يده في يد رئيس الحكومة «النحاس» باشا. ويتفق مع حزب الوفد، وينسق معه، ولا يصطدم به، وقد استكمل «النحاس» باشا مهمة الملكة «نازلي»، وتقرَّب من الملك الصغير. وأخذ يوضح له الأمور، ويرشـده إلى ما تتطلبه الأوضـاع في مصر. ولكن الملك المراهق القاصر رفض نصائح «النحاس» باشا. وغضب منه غضباً شديداً لأنه أفقده حلمه في الخلافة الإسلامية، واتسعت هوة الخلاف بين الملك. ووزارة «النحاس». ووصلت إلى طريق مسـدود حتى أعلن الملك إقالة

الوزارة، ولم يكن قد مر على جلوسه على العرش خمسة أشهر، وظهر الملك القاصر متسلطاً مُصرًا على أن يملك ويحكم ضد كل القوانين، والدساتير ومهما كانت الظروف.

ومن هنا بدأت أولى خطوات الملك الشاب نحو النهاية. وهو يسير على طريق السقوط.

العَدّ التَّنازُلي

تفاصيل كثيرة تضمها الكتب، والملفات والصور المكتظة أمامي عن هذه المرحلة من تاريخ مصر، وكلها تؤكد بداية العد التنازلي لهذا العهد؛ لقد كانت كل مواقف وتصرفات الملك «فاروق»، وحاشيته من الأحداث الجسام التي شهدتها هذه المرحلة تتناقض مع المنطق. ومع الوضع الذي يجب أن تكون عليه؛ ناهيك عن الفساد الذي شمل كل شيء داخل القصر الملكي، وتوالت الأحداث. وواجهت مصر الكثير من الانتكاسات السياسية. وفي خضمها يتزوج الملك الشاب من الملكة «فريدة» في حفل أسطوري، ويقضي شهر العسل في فرنسا. وفي نفس الوقت يرسل «شاهنشاه» إيران رسولا يخطب شقيقة الملك «فاروق» الكبرى «فوزية» لولي العهد «محمد رضا بهلوي».

ووسط الصراعات السياسية بين مختلف الأطراف في مصر نشبت الحرب العالمية الثانية بكل تبعاتها، وتداعياتها على مصر خاصة بعد أن انحاز «فاروق» لدول المحور عاصيا بريطانيا. ولكن تطور الأحداث أجبره على أن يعود، ويعلن توبته ويقدم فروض الطاعة، والولاء

لبريطانيا التي انتهزت الفرصة. وسيطرت عليه تماماً حتى أن سفير بريطانيا في مصر أكد صراحة أن الملك «فاروق» أصبح رهينة لديها يمكن تسخيره كما تريد.

وفي خضم الأحداث وظروف مصر الحرجة يستمر «فاروق» في طيشه، ويواصل سلسلة الانحلال الخُلُقي، فقد قام برحلة طويلة إلى أوروبا مع حاشيته استمرت شهرين قضى خلالها سهراته في «كازينوهات» إيطاليا، وفرنسا، وأثارت تصرفاته المبتذلة مشاعر رجال الدين حتى أن شيخ الأزهر انتقده. فقام الملك بعزله على الفور، ولأن الملكة «فريدة» لم تنجب له الولد الذي يرث عرشه. فقد اختطف فتاة كانت تستعد للزواج من محام شاب، وقرر أن يتزوجها، وأصبحت هذه الفتاة – ناريمان – زوجته الثانية. ولم يجد حرجاً من القيام برحلة عسل ثانية في أوروبا.

وامتدت فضائحه إلى الأسرة، وقررت الملكة الأم أن تقيم في أمريكا بعد جولة حافلة في أوروبا. وتزوَّجت شقيقته الصغرى دون علمه من موظف دبلوماسي مسيحي.

السُّقُوط

وتتتابع الأحداث التي تنبئ كلها بقرب النهاية حتى كان يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢م الذي اشتعلت فيه الحرائق في كل أرجاء القاهرة بينما كان «فاروق» يحتفل بولي العهد الذي رُزق به من زوجته الثانية «ناريمان». ولم يأمر المسئولين المدعوين بالانصراف لمهامهم لإنقاذ القاهرة..

وتواصلت الخطوات سريعاً على طريق النهاية حتى كان صباح يوم ٢٣ يوليو واستيقظت مصر على نبأ إعلان الثورة. وفي يوم ٢٦ يوليو ذهب القائد العام «محمد نجيب» ومعه «أنور السادات»، وسلما رئيس الوزراء إنذاراً للملك بضرورة تنازله عن العرش لولي العهد الأمير «أحمد فؤاد» على أن يغادر البلاد في الساعة السادسة من مساء نفس اليوم.

وأسقط «فاروق» عن العرش لأنه لم يعرف كيف يصونه.

مع والده الملك فؤاد

الصورة الرسمية

يدير شئون الدولة

مع الملك عبد العزيز
آل سعود

طفل وسيم

مع شقيقتيه

زوج وأب